من ضيوف أسبوع (المدى الثقافي):

الفنانة والكاتبة أمل بورتر ذاكرة للروح العراقية الجميلة باللون والكلمة

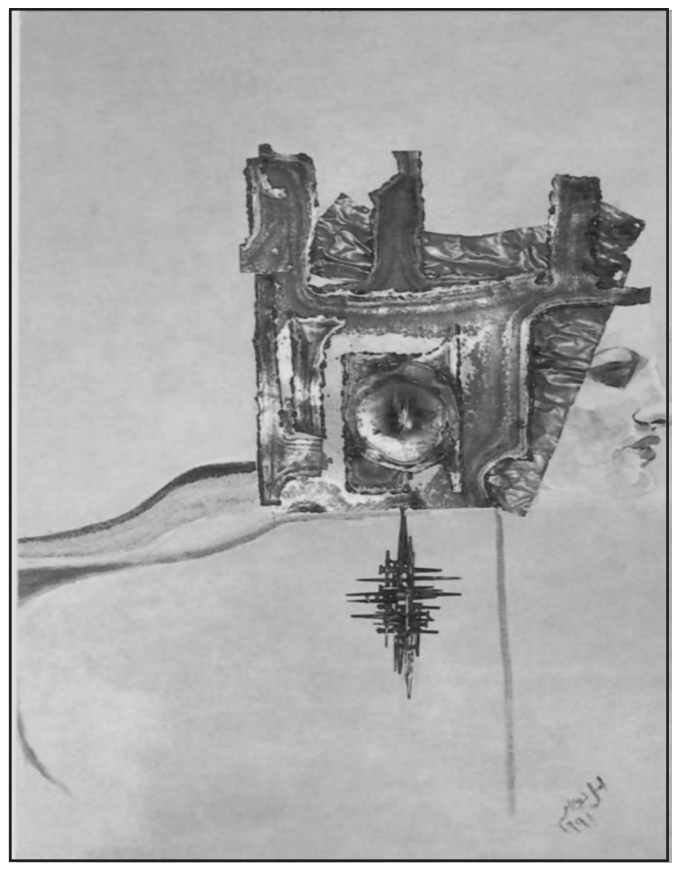

نعيم عبد مهلهل

تبحث هذه المرأة عن الأشياء الدائمة الضوء ، وظلت منذ بيئة الحلم الكركوكي تجمع شتات ماتراه من فلسفة الأب وسلوكه لتبني لقادمها اخيلة من مهارات حضارية متعددة الرؤى فبين رائحة الفخار وطين سومر وبابل وكتلة العنف في جسد ثيران نينوى المجنحة وصفير قطارات كلكتا ، وعطر امطار نيوكاسل عاشت تلك المراة الأستثنائية لتبني يوتوبيا من ازمنة الكتابة والرسم والنضال ضد سياط اولئك الذين ظلت تمقت فيهم حركتهم البربرية لتجابهها بعزلة عجيبة ركنت فيها الى قبو الموروث واشياء الفطرة المرسومة على بسط السماوة التي راتها تخلصا من فوضى الحرب والقواطع الذاهبة لجبهات القتال لتموت ، وهي تمسك جملة كافكا الشهيرة (كل ما كتبته هو نتاج العزلة) فكان عليها ان تحول بيتها الى جدران وابواب ملونة بذاكرة اوروك التي وجدتها منقوشة ببراءة الفن وفطريته على تلك الأزارات الملونة بأحمرار الخجل والشهوة والجوع لتصنع من تلك الموروثات حكاية بيت وشعب.

جاءت أمل بورتر. في عودة أوديسية إلى وطنها، لكن حدود الخطوة العائدة لم تأخذها إلى بيت الطفولة في ارانجا الأسم السومري لمدينة كركوك، ولا لبغداد والتي احتضنت فيها سني الدراسة ومعهد الفنون. وبيت الزوجية ولذة عشرين عاماً من العزلة، قالت عنها: إزاء ما يحدث ولأني امرأة أتعامل مع الحياة برومانسية اللون وروحه وكذلك زوجي، ولكي أختار مقاومة تليق بما تعلمته من أبجديات الحرية الوطنية، قررنا أن نلتجئ أنا وهو لعزلة، قد تكون شيئاً من التصوف. الرؤيا أن تترك هواياتك وتطبق على يومك نظاماً صارماً. لا صحف، لا تلفاز، لا أشتراك في أي منشط اجتماعي أو فني. سوى أعمالنا التجارية وفي البيت أسسنا أنا وهو نمطاً روحاً أبداعياً من التلاقح وأشغال هذه العزلة الطويلة عندما كنا نأخذ مسرحيات كاملة، نقرؤها ونوزع أدوارها فيما بيننا. لنقرأها كل الليل متحاورين بمتعة ما يكشفه شكسبير في روح البشر وعوالم تفسر ما يتعرض له الإنسان من نوازع بين خير وشر.

في عزلتي هذه، استفدت من أشياء كثيرة، منها أن أصابعي ظلت نقية ولم تتلوث بلون القسر والإجبار أن ترسم ما يريدون أو يدفعك أحدهم لتضع الدكتاتور على حصان وبيده علم العراق وسيف يجز به رقاب شعبه في حروبه التي لم تنته حد سقوط بغداد.

قلت لها: أمل بورتر أنت تحدثت عن شيء من طفولة وعزلة. وأنا أعلم أنك نتاج ثقافة أكثر من حضارة، وخضعت في البيت لتربية روحية واجتماعية، لهواجس أو صبغة العادات العربية والإنكليزية والهندية، ولكنك الآن قدر ما نعرف تشتغلين من موروث هذه الحضارات وتعكسينها على منتجك التشكيلي والكتابي، أسألك من هي الأقرب إلى عاطفتك، لاسيما حين أتأمل لوحاتك. أرى فنتازيا وأشكالاً، وكتلاً مصنعة من رغبة مشرقية هي من تصنع اللوحة.

قالت أمل بورتر: في البيت بكركوك، ما زالت أتخيل جمل أبي وإنكليزيته الهادئة وهو يوجه بعصاميته أهل البيت. والغريب أنه كان يشعر بانتماء إلى عراقية نقية. تصور كان يكره المحتل، ولا يعجبه ما تفعله مسز بيل. ولورنس كان يقول عنهم: إن أولئك يخدمون مصالح الإمبراطورية أكثر مما يخدمون مصالح هؤلاء الفقراء والبسطاء من أبناء الشعب العراقي. كان لا يحب فكرة أن يبقى انتداب ولهذا ما زلت أتذكر ابتسامته المفتوحة كصباح بغداد وهو يصفق من نافذة البيت لمتظاهري انتفاضة معاهدة بورتسموث عام ١٩٤٨، وحينما كنا نسأله: أنت لا تخشى غضب الناس لأنك بريطاني. كان يرد: أنا لي مع هذا الشعب مودة كبيرة، أنا أحب الناس والناس تحبني، فكيف أخشاهم.

إذن أخي نعيم، وسط هكذا حب ومشاعر ولدت عراقيتي أولاً، وبها أبدعت وتغربت وصنعت لذاتي خصوصية أن تكون اللوحة لدي فنتازيا من البحث عن شيء مفقود وعليك أن تجده وسط اللوحة، هكذا هو انتمائي أعود باللون والرغبة إلى هواجس بعيدة ولكني أتلمسها بأصابعي، سومر وبابل وآشور من هناك أسحب أعنة خيول الزمن وأسكنها ألواحي كلمات تؤرخ لعهد طويل من المثيولوجيا والحضارة المضيئة بالفكرة والفن. وكما تعرف أني أشغل ضمن مساحة كشف روح الأنوثة وما منحته لموروثاتنا. فأنا تعلمت في البيت من أمي. أن المرأة تصنع الرجل بعاطفتها أولاً. أنا أعيد استرجاع هذه العاطفة وأدونها أو أرسمها في لوحة، أما عن الحضارتين الآخريين، فإن لهما شيئاً من التأثير. في الهند التي زرتها، ذهبت لأبحث عن بقايا سلالة من الحب والإبداع تركها جدي الذي كان أول من أسس سكة حديد في الهند.

عام ١٩٦٥ ذهبت إلى مقبرة كنيسة القديس ما، حيث دفن هناك في ولاية بنغلور، راجعت سجلات عائلتنا، وقرأت سيرهم المليئة بالحب والإبداع، ورأيت جمل العرفان والمودة تخرج من أفواه المهراجات الذين عمل معهم جدي وقبله أجدادي الذين كان لهم الفضل بإنتاج الطابوق بطريقته الصناعية.

في تجوالي بين معابد مدن الهند، قرأت الشرق بصورة أخرى. ولكنها لم تخرج من إطار اللوحة التي ظلت مرسومة بمخيلتي. لقد كنت أرى الشرق واحداً. وكانت عيون بوذا تشع بغنوصية عجيبة وهي تمد أذرعها الألف باتجاه المدى الحضاري المفتوح لبلد تسكن فيه واحدة من أعرق الديمقراطيات. وكان ضوء قبة ضريح تاج محل يلتقي مع أطراف تلك الأصابع ليرسمان معاً ما أتخيله في جهد جدي وهو يؤسس في قلب الشرق ذاكرة للحب، ورثها أبي منه، وأنا من أبي.

أما الحضارة الثالثة، فهي الحضارة الأوروبية. أنا منذ أكثر من ستة عشر عاماً أعيش في بريطانيا وفي نيوكاسل بالتحديد. هنا الحياة تسير وفق نمط مرسوم بعناية. مايكروسوفت والآلة والطباع الغربية الباردة تسيطر على كل شيء.

بالنسبة لي أنا أعيش ممتزجة مع هذا العالم ولكن بطريقتي الخاصة. قد تكون شبيهة لعزلة ما فرضته أنا والمرحوم يوسف زوجي. لكنها عزلة مفتوحة بعالم آخر. ألتقي معه. أعطيه ويعطيني دون أن أذهب إلى أبعد ما يكون فثمة حبل من ضوء الشرق يجرني إليه بسحره وتقاليده وإبداعه وهذا ما تراه في منتجي الفني والفكري.

❖ السيدة أمل بورتر.. عرفت رؤيا الحضارات وتأثيرها فيك وعليك. وهناك أسئلة كثيرة حول السيرة الإبداعية لانسانة عراقية اسمها أمل بورتر.. نتركها لأزمنة أخرى سنكون فيها أكثر قدرة على محاورة ما يحدث وما حدث. ولكني في سؤال أخير أريد أن أقف معك. على مشهد واحد مما حدث. هو بالتأكيد مشهد صانع للألم والدمعة بالنسبة لك. لأنك كنت بعضاً منه. وطالما تجولت بين أروقته في صباحات الوظيفة.. "هذا المشهد هو المتحف العراقي.. وما تعرض له من نهب وحرق على مرأى ومسمع من دبابة المحتل".

– نعيم هذا المشهد كان بالنسبة لي مثل سكين بروتس في خاصرة يوليوس قيصر. ولا تعرف كم من غيوم الحزن غطت عيوني وأنا أرى التماثيل المدمرة. والأختام الإسطوانية المبعثرة. لحظتها عدت إلى أيام عملي في المتحف واستعدت بهجة أن تعيش مع العصور كلها. وعدت إلى هاجس ظل يعيش في دائماً منذ تلك الأيام الجميلة هو "أن المتحف سينهب ذات يوم. وأن نهاية ما يجري في تلك الأيام. سيكون مشهداً مرعباً وهو ما حدث فعلاً". لا سيما إني أربط هذا المشهد بما تصرفته زوجة الرئيس المخلوع الأولى عندما طلبت من المتحف قلادة سومرية لا تعوض بثمن لتلبسها في حفل استقبال زوجة الرئيس القذافي التي جاءت بمعيته وهو يزور العراق مطلع السبعينيات.

ولا أدري إن عادت القلادة إلى المتحف أم لم تعد..

ولكنني لحظتها أحسست بغيظ كبير. وتوجست من هكذا مستقبل انتهى إلى تلك الصورة المأساوية. يعتبرون العراق كله بتراثه وكنوزه ملكاً لهم. وذلك انعكس علي تماماً حين سلب أحدهم يوم خروجي من الوطن بيتي كله بكامل موجوداته ومعها تراثي الفني كله. وإلى حد هذه اللحظة ما زال بيتي يتناقل السكن فيه أغراب ليسوا مالكيه.

يوم احترق ونهب المتحف. شعرب بأن كتلة هائلة تنفصل عن جسدي كنت أرى في ذكريات صباحاتها امتداداً لوعي الكتابة عن ذلك الإرث الجميل وكنت أتخيل أميرات سومر وبابل وآشور والحضر وهن يسبحن في فضاءات لوحاتي. وأن بغداد أحترقت في قلبها تماماً.

أن تهدم جسر أو بناية وزارة، أو حديقة عامة.. فهذا سهل في إعادة البناء. لكن كيف تعيد بناء متحف أو مكتبة. وقد نهبت وحرقت. التاريخ لا يعود سوى بأطياف التذكر. أما موجوداته المادية فلن تعوض أبداً. لهذا شعرت بأن أكبر طعنة يتعرض لها الإرث العراقي وتاريخه هو ما تعرض له المتحف العراقي من طعنات أخرى مؤلمة. حروبه. مقابره الجماعية. موت المفخخات.. وهلم جرا...

على قاعة سامي عبد الرحمن

إقبال متزايد على اقتناء الكتب بأنواعها

جلال حسن

تشهد قاعة سامي عبد الرحمن إقبالاً متزايداً على اقتناء الكتب في المعرض الذي أفتتح ضمن فعاليات أسبوع المدى الثقافي في أربيل، واحتوى المعرض على مصادر متنوعة في مختلف ميادين المعرفة والعلوم والآداب والدراسات إضافة إلى كتب في أدب الأطفال والمرأة والفكر والإعلام والفلسفة.

وشاركت في المعرض ٢٥ داراً للنشر أبرزها الطليعة العربية ودار الانتشار ودار الوثائق والهيئة المصرية العامة للكتاب ودار قدمس والفرات ووزارة الثقافة السورية.

السيد داود أمين مسؤول مكتب المدى قال لـ (المدى الثقافي) أن معرض الكتاب يقدم تسهيلات طباعة للكتاب والمؤلفين، ويأخذ على عاتقه توسيع حركة الكتاب وتداوله ليس في العراق، بل في سائر البلدان العربية والمهاجر، وأضاف: إن هذا الجهد يستهدف بالمحصلة النهائية خلق أجواء ثقافية حرة ورحبة بالإسهام والتفاعل والتكامل الثقافي في عموم الوطن العربي ومع ثقافات الشعوب والأمم من خلال تقديم أفضل المطبوعات مشيراً إلى أن المعرض يسعى إلى تشجيع صيغة نوادي الكتاب وإعداد موسوعة ثقافية عربية تغطي المشهد الثقافي.

وأضاف: أن مؤسسة المدى تشرف على عملية بيع الكتب وبتخفيض يصل إلى ٥٠ بالمائة دعماً منها في إيصال الكتاب إلى أكبر شريحة من المواطنين مشيراً إلى أن هناك إقبالاً كبيراً على الشراء من قبل الشباب تحديداً وتلك صفة متميزة تدل بوضوح على رغبة الشباب في التعلم والمعرفة والإطلاع على ثقافات الشعوب.

وعن أهم العناوين المفضلة لديهم في عملية الشراء، قال أمين: الكتب التاريخية التي تبحث في تاريخ سومر وبابل وأكد وتاريخ العراق المعاصر وكتب الأديان والفلسفات الروحية والفكرية والسياسية والأدبية وحققت روايات ماركيز (الحب في زمن الكوليرا) و(موت معلن) مبيعات جيدة بالإضافة إلى مؤلفات صادق جلال العظم و(رفائيل بطي) في (ذاكرة عراقية) و(فائق بطي) في (الوجدان) والثورة العلمية الحديثة وما بعدها لـ(علي الشوك). وأضاف: هناك إقبال من أساتذة الجامعات والسياسيين والمثقفين على شراء الكتب العلمية والدراسات الأدبية والتاريخية خصوصاً عناوين (المرأة العربية في الدين والمجتمع) عرض تاريخي و

(لغة الذات) والحداثة الدائمة لـ(إبراهيم لويس) و(الحداثة العربية مواقف وأفكار – الفكر العربي بين وعي الذات وهيمنة الآخر) و(تشريح النقد) لـ(نورثروب فراي) و(في نور القرآن).

وأكد على إقبال شراء الكتب العلمية التي تهتم بالطب والهندسة وكتب الكومبيوتر والمصادر العلمية التي تخص جيولوجيا التربة والبراكين والميكانيك والمصادر الكهربائية.

وقال السيد باسم العكيلي: إن مؤسسة المدى تقدم أفضل نتاجات الإبداع في العالم العربي وتحرص على إيصالها إلى أكبر شريحة من القراء بأيسر السبل وبالأسعار المناسبة.

وأضاف: أن المعرض يأخذ على عاتقه كلفة الطبع بنسبة ٢٠ بالمائة في الأقل من الأسعار السائدة في المحافظات والحفاظ على جودة المواصفات الطباعية.

وشكر باسم كادر المكتبة العامة في أربيل على تعاونهم وتذليل كافة الصعوبات.

نوري بطرس عضو برلمان واحد زوار هذا المعرض قال: إن المعرض مبادرة جيدة من خلال تقديمه عناوين مهمة تسهم بشكل فعال في التواصل المعرفي بين القارئ والكتاب مضيفاً هناك كتب من الضروري اقتناؤها في الوقت الحاضر ليس لعلاقتها بالوضع الراهن إنما لأنها تواكب التطور العالمي في المجال المعرفي والسياسي والاجتماعي.

طالب المسرح نوزاد أحمد قال: إن المعرض فرصة رائعة لأنه يعرفنا بآخر الإصدارات في مجال الآداب والتاريخ، وأضاف: اشتريت جميع الكتب التي تخص المسرح خصوصاً كتاب (بريخت ما بعد الحداثة) و(التجريب في المسرح) وأشار إلى أن المعرض بعيد عن مركز المدينة الأمر الذي يتطلب تأجير سيارة خاصة ومثلها في الرجوع وألمح إلى أن اسعار الكتب لا تتناسب ومدخول الطالب.

عائلة سالار أحمد أبدت سرورها لأقامة المعرض على أرض كردستان ووجدت أن جناح كتب الأطفال منظم بشكل ممتاز من حيث التناسق العمري للأطفال وقالت: أن كتب الأطفال رخيصة جداً، وتمنت إقامة مثل هذه المعارض بشكل دائم.

الناقد شوقي جلال: المدى بمشروعها الثقافي النهضوي هذا تكون قد أسهمت في خلق ثقافة عربية معاصرة

عبد الحسين الغراوي

من ضيوف مهرجان المدى الثقافي الأديب المصري شوقي جلال الذي شارك في ندوة تناولت موضوعة الثقافة العربية ودور المثقف العربي في الحياة الثقافية في وطننا العربي، التقته المدى للتحدث في أسبوعها الثقافي في إقليم كردستان حول الآفاق الرحبة التي وفرتها من خلال حضور المثقفين العرب والمثقفين العراقيين المغتربين وقد أوضح رأيه بذلك بقوله:

رؤيا ثقافية معاصر

عندما أتحدث عن الثقافة العربية –أقول إنها منتج اجتماعي –ولكن مشكلتنا في مجتمعاتنا العربية أننا نعيد وبشكل متخلف وأسطوري إنتاج ثقافة الأقدمين أو السلف، ونحن نتصور بأننا بهذه الطريقة نحافظ على هويتنا، بينما الهوية ليست مزاراً في حقب التاريخ وإنما الهوية منتج متجدد في حالة وهي تجمع أو تراكم تأريخي وصورة متجددة وتأويل جديد حتى حين نتحدث عن ثقافة إسلامية والتي هي ليست ثقافة السلف القديم وإنما هو الفهم التاريخي الذي يعيشه السلف – ويضيف شوقي جلال وإنما نعيشه نحن الآن ولابد أن ننظر إليه برؤيا ونتعامل معه بفكر جديد، ولكن هذا أحد أزماتنا الحقيقية الثقافية هو الدعم.

إن هناك تطابقاً لابد أن ندرس شواهد وتاريخ الشعوب التي تؤكد أسلوب النجاح ولابد أن نستفيد من التجارب، ونحن نتحدث بأسلوب الخوف –الخوف من العولمة ولابد أن نعترف إننا نخاف من أنفسنا بسبب السلبيات ولابد أن ننظر إلى الخطأ فينا.. ثم نتساءل لماذا فشلنا نحن؟ أؤكد – أن أحد أسباب الفشل هو إننا استسلمنا للمفاهيم الخاطئة، ولابد لنا من التطور العلمي لأنه يؤسس مجتمعاً –وأن يكون عندنا علماء وبهذا يكون عندنا إبداع وعلى مستوى حضاري جديد، وهنا كما يشير الناقد شوقي جلال –ثقافة علمية ديمقراطية في مجتمع علمي تكنولوجي لخلق آلية عمل لمجتمع عصري وليس مجتمعاً رعوياً أو زراعياً. لكننا لا زلنا نعيش تحت عباءة الرعي والزراعة.. وعن سؤال لـ(المدى) حول خلق ثقافة ديمقراطية غير سلفية.. أوضح:

– إن بين الثقافة والمشروع النهضوي –وإن ما حدث في تجارب الشعوب وأقول هنا –إذا كان التراث لا يعطيني حلاً، إنما اعتبره خضوع أعمى لتراث قديم، ولابد من إيجاد ثقافة جديدة تعتبر ابتكار إبداعي وبالتالي ستنشأ الثقافة وبالتالي تحافظ على أمور وتسقط أمور أخرى – الثقافة هي بنية متطورة –ولابد أن يكون لدينا مشروع تطوير... وإن أزمتنا الحقيقية هو لابد أن نعطي للتعليم مظاهرة حضارية أهمية..

ثم سألنا الناقد والأديب المصري جلال شوقي عن انطباعه عن مهرجان المدى الأسبوعي الثقافي الذي فتح باباً للمثقفين العرب كي يدخلوه لبلورة رؤيا ثقافية معاصرة في أمتنا العربية فأشار:

مشروع كبير

أنا أعرف إن لـ(المدى) دورها الطموح منذ سنوات ولنا في المجلس الأعلى للثقافة نوع من التعاون ولها طموحات مشروعة والمدى بهذا التوجه الثقافي تكون قد أسهمت في ترسيخ ثقافة تواكب روح العصر وتساهم في إغناء الكاتب والمفكر والأديب العربي بمنجزاته الثقافية والفكرية وسلسلة إصداراتها في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية، وهو مشروع كبير تنهض به مؤسسة المدى يعتبر عملاً جيداً وكبيراً، والدليل على نجاح هذا المشروع الثقافي الحضاري وجودنا في العراق وحضورنا مهرجانها الأسبوعي على أرض كوردستان ومشاركتنا بفعالياته –وإن كردستان وهي تحتضن هذه التظاهرة العراقية العربية لتقف على بداية طريق لخلق آفاق جديدة للثقافة العراقية من خلال انطلاقة مؤسسة المدى بمشروعها الحضاري الثقافي النهضوي.